مجلة الرائد

العدد : ٢٣٢ الموافق في رمضان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١٢ ميلادي

عنوان المقال : صراع حضارات .. أم تعدد ثقافات ؟	الكاتب : د.أحمد المرايات

سؤال طرح في زحمة الأزمات العالمية الراهنة وطلب إليَّ الجواب عليه بكلمات سريعة لذلك كان الجواب لفتات لبعض المظاهر والأمثلة التي قد تساعد في تشكيل تصور عن الجواب .

لقد كتب كثيرون في هذا الموضوع من زوايا رؤى مختلفة وتحت عناوين مشابهة ، وأرى من المهم أن لا نضيع في متاهات التعاريف والوصف ، وإنما نصل إلى تصور عن المشكلة واقتناع يقود خطانا للتعامل الصحيح مع الواقع وفق استراتيجية بعيدة عن الانفعال ؛ يقودها بُعد النظر ومعرفة الواقع.

وهنا يفيد أن يتعرف المسلم على بواعث السلوك والمحركات عند الآخرين ، والآخرون هنا هم الغربيون ، ونحن اليوم أمام مواقف وأفعال ذات أبعاد ونتائج خطيرة .

في الغرب - على العكس منه في البيئات الإسلامية المحافظة " Islamisten " - الأساس هو التحرر من الأخلاق الدينية ، وهو ما نراه على أرض الواقع وما هو سائد ويؤصَّل له في وسائل وأجهزة الإعلام [1] .

والأعراف التي أصبحت سائدة في الغرب هي أنه لا ارتباط بين الخلق الديني والتصرف الشخصي ؛ فالقوانين والقواعد والنظم والقيم هي من وضع البشر أنفسهم ، لذلك : الصحيح والخطأ ، القبيح والجميل ، السيء والجيد هو ما يقرره الرئيس في المعمل أو الكاهن في المعبد أو .. أو هو ما تقرره الأغلبية الحاكمة ، وهي تقرر بطبيعة الحال ما يخدم مصالحها وتوجهاتها وحاجاتها .. إذن تتغير القوانين .. تتغير التوجهات .. وكذلك الموقف من الأخلاق والمعايير حسب الرؤى الجديدة والمتجددة التي ليس لها حالياً من مقياس سوى كسب أصوات الناخبين أو المصلحة والحاجات الفردية .

ونسمي فقط بعض الأمثلة الصارخة التي يراها كل إنسان :

❖ الجنسية المثلية (الجنوسية) أو ما يسمى بعمل قوم لوط ، كيف كان موقف المجتمع منه ؟ كيف تطور هذا الموقف حتى وصل مؤخراً أن سياسياً تفوق على خصمه ونجح في مقاطعة ألمانية هامة لم يتورع أو يخجل من الإعلان عن أنه جنوسي ، وهناك أمثلة في هذا المجال من مجلس العموم البريطاني والكرملين الروسي والبيت الأبيض الأمريكي ، وهي ظاهرة تتأصل وتقنن في ثقافة وسلوك المجتمع الغربي ، في حين كلنا يعلم الموقف الإسلامي الشرعي من عمل قوم لوط .

عنوان المقال : صراع حضارات .. أم تعدد ثقافات ؟	الكاتب : د.أحمد المرايات

❖ التعرف المبكر على الجنس والعلاقات الجنسية المبكرة بين الأولاد والشباب والشابات والصداقات (Boy (Friend/Freund)) والعيش المشترك وإنجاب الأولاد دون زواج شرعي (وأصبح هذا الشكل هو السائد لأسباب مادية وضرائبية) . وهذه في الغرب الآن هي السائدة والمقبولة ، وتبرر بأنها هي الثقافة الصحيحة ، وهي التقدم الحضاري ، وهي الحرية وما عداها هو التخلف والرجعية .

فهل تسمح ثقافة الإسلام وحضارة الإسلام وشريعة الإسلام بهذا التقدم الحضاري أن يغزوها ؟! وما هو موقفها ؟ بمعنى كيف يتصرف الحاملون للإسلام تجاه هذا التطور ؟ .

❖ قضية الربا ونظام البنوك وعليها يقوم الاقتصاد الأوروبي ، والذي لم يسمح لنظام إسلامي - بثقافة أخرى وبواعث أخلاقية إسلامية - أن يؤسس بنوكاً يمكنها أن تنافس أو تنازع .. بل حرمها !! حفاظاً على مكاسبه ومنافعه ..

❖ ثم لنأخذ أمثلة أكثر قرباً من الإنسان والأخلاق والثقافة .. من منا لا يعلم أن الغرب يحارب مرض (الإيدز) - وهو مرض أخلاق وثقافة بشكل رئيسي - ليس بالدعوة إلى رفع المستوى الأخلاقي والابتعاد عن الجنس المحرم والاقتصار على الزواج - لأن هذا تعدٍ على الحرية الشخصية - إنما يعالجه بأن يدعو إلى استعمال الواقيات المطاطية لتجنب انتقال المرض أثناء الممارسات الحرام ! . وفي هذا فائدة بمئات الملايين من الدولارات سنوياً لشركات إنتاج الواقيات المطاطية (Kondome) .

❖ ثم هل أذكر مثالاً - ثقافياً ، حضارياً - آخر ؛ لقد صدمت وأنا أقود سيارتي وكدت أتسبب بحادث عندما قرأت إعلاناً وزع في المدن على لافتات يدعو للمحافظة على الأطفال .. طفل يعبر الشارع وسيارة من خلفه ، وتعليق في الأسفل يقول : انتبه ! إنه سيدفع لك تقاعديتك في المستقبل !! .

وأترك التحليل والتعليق للأخ القاريء ..

إذن هي ثقافة منافع .. ثقافة إشباع حاجات وإشباع غرائز .. لها مقاييسها .. مقاييسها المتغيرة .. المتطورة .

عنوان المقال : صراع حضارات .. أم تعدد ثقافات ؟	الكاتب : د.أحمد المرايات

ثقافة مصالح .. مصالح أفراد ومصالح فئات معينة من الناس (والحديث هنا لا يشمل بقايا فضائل تبرز وتختفي ، والتي تسبح ضد تيار العولمة الذي هذه هي ثقافته .. أجار الله الإنسانية من الحضارة التي ستنتج عن هذه الثقافة) .

ويحكي لنا التاريخ الحديث - على الأقل منذ القرن الثامن عشر - أن السياسة الأوروبية هي سياسة استعمارية مبنية على ثقافة نفعية تهتم **بالمصلحة الذاتية** والذاتية فقط - وهو أمر متأصل في العقلية الغربية - ولا تغرنا بعض اللافتات هنا وهناك . والأمثلة المعروفة أكثر من أن تحصى بدءاً بوصول الغربيين - الأمريكان - إلى القارة الأمريكية واستئصال الهنود الحمر - مروراً باستعمار الهند وإندونيسيا والجزائر .. ومصر .. إلى حرب فيتنام .. ثم حرب الخليج ثم بعدها تجاهل الغرب - عن علم - للحرب في رواندا والتي قتل فيها أكثر من مليون من الأفريقيين الذين ليس للغربيين مصلحة في حياتهم ولا ضرر في موتهم ؟! ولا تزال مصالح الغرب قائمة في تجويع أطفال العراق ، وفي قتل المسلمين والمسلمات وأطفالهم في أفغانستان اليوم .. وهكذا .

إن الأمر على ما يبدو ليس موضوع لافتات وشعارات ونظريات وثقافات فحسب بل هو **واقع تحركه مصالح وتديره مجموعات** مستعدة للاستفادة من كل ما تجده في طريقها وتسخيره لمصالحها سواء كان ذلك إيديولوجيات أو أديانا أو حركات أو أفراداً أو توجهات .. قومية أو أممية ، إنسانية كانت أو عنصرية .. **فالإيديولوجيات في أوروبا ليس دافعاً للأفعال** بل هي **مبررات** تضاف للأعمال أو تسبق هذه الأعمال (للتعتيم أو التجميل .. بعد انقضاء الأمر) تحت اسم الديموقراطية أو العدالة أو حقوق الإنسان ، أو مكافحة الإرهاب ، وهي جميعها في واقع الأمر تداس تحت الأقدام عندما تتعارض مع المصالح ، والأمثلة كثيرة غير خافية على متابع .

ولا بد من لفت النظر إلى أن المخزون الثقافي الغربي الذي ولّد هذه الحضارة بهذه التوجهات قد شارك فيه **كتّاب ومفكرون** تختلف طروحاتهم عن طروحات الإسلام وتختلف دعواتهم عن دعوة الإسلام أمثال : (شاتوربريان - روسو - مونتسكيو - كانت - رينان - فرويد - ديركايم ..) وهي طروحات وإن تناقضت أحياناً فيما بينها فإنها تشترك جميعها في الدعوة لإشباع الغرائز والتركيز على حرية الفرد ..

والتوجه إلى الطبيعة بأنها هي الأصل وهي الملهم .. وفيها من يركز على الوطنية وبعضها يركز على الأممية .

في حين أن الثقافة الإسلامية تستند على أن :

- المرجعية العليا في السماء عند خالق العباد .

- التفاضل بين البشر على أساس التقوى .

- والأخوة مع الاهتمام بأمور الآخرين .

وقد قال " شاتوبريان " : أحب كل الجنس البشري .. ولكن لا أهتم إلا بنفسي . والمتعارف عليه بين المسلمين أنه « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

وإذا كانت الظروف الراهنة وحملة " مكافحة الإرهاب " والمخططات الأمريكية في المنطقة الإسلامية هي التي دعت الآن لإعادة الحديث في هذا الموضوع فيمكن طرح السؤالين الآتيين :

❶ هل المصالح الغربية وراء إشعال حرب الحضارات ؟!

بمعنى من هم الذين وراء إشعال هذه الحرب ومن هو المستفيد ؟ ولماذا يراد لهذه الحرب أن تشتعل ؟

❷ كيف يجب أن يتعامل المسلمون - بواقعهم الحالي - مع هذه المعطيات على أرض الواقع ؟!

ويمكن أن يجاب على قسم من **السؤال الأول** بالرجوع لتصريحات أناس يؤثرون في السياسة الدولية أو يرسمونها ، وبلفت النظر لمعطيات على أرض الواقع ولكن بشكل عناوين يمكن للقارئ أن يراجع تفصيلاتها في مراجعها العديدة :

▫ يراجع كتاب **صموئيل هانتينغتون** " صدام الحضارات " .

▫ تراجع كلمات هنري كيسنجر أمام مؤتمر غرف التجارة الدولية عام ١٩٩٠م « إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد » .

وكذلك تصريح كيسنجر يوم ٢٠٠١/٩/١٥م بعد حادث نيويورك :" الحرب ضد الإرهاب الإسلامي يجب أن يبدأ اليوم وليس غداً " .

▫ تراجع مقالات عديدة كتبت في الصحف الأمريكية والإنكليزية والفرنسية (جميعها تصور الإسلام خطراً زاحفاً يسعى لتخريب الحضارة ، ولا بد من إيقافه ومكافحته باسم مكافحة الإرهاب) .

▫ وكذلك الأفلام العديدة التي مثلت في هوليود منذ عام ١٩٨٥م إلى اليوم والتي تظهر المسلم .. أو العربي .. غير متحضر وقد يمتلك أسلحة خطيرة " ذرية أو نووية أو جرثومية .. " ويجب منعه من استخدامها أو امتلاكها لأنه سيستعملها بعنصرية وسذاجة وجهل ويخرب فيها الحضارة الغربية والتقدم المادي الموجود (أفلام مثل : ذي دلتا فورس ، المنتقم ، الموت قبل العار ، سرقة السماء ، أكاذيب حقيقية ، اختطاف طائرة الرئيس الأمريكي وفيلم الحصار ..) وكلها أفلام تحذر من الإرهاب الإسلامي وبعضها يدور حول مركز التجارة العالمي !! .

▫ ولا ننسى زلّات لسان الرئيس الأمريكي بوش : « إن الحملة الصليبية القادمة ستكون طويلة الأمد لتخليص العالم من الأشرار » .

▫ وكذلك تصريحات رئيس الوزراء الإيطالي بيرلسكوني .

▫ ثم اكتشاف أكبر مخزون للطاقة - البترول - في منطقة بحر قزوين وهي كمية تفوق الموجود في منطقة الخليج !! .

▫ وأخيراً !! المنشآت النووية الباكستانية التي ستكون بعد الانتهاء من أفغانستان الهدف التالي للحملة الحالية لزيادة تأمين أمن إسرائيل ! .

● أما الجواب على **السؤال الثاني** فهو التحدي الكبير .. وهو من أهم واجباتنا اليومية نحن المسلمين ، ولله المستعان .

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٢ الموافق في رمضان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١٢ ميلادي

عنوان المقال : صراع حضارات .. أم تعدد ثقافات ؟	الكاتب : د.أحمد المرايات

الهوامش :

(١) كثيراً ما يسأل السياسيون والصحافيون في البرامج الإذاعية والتلفزيونية المختلفة إن كانت في السياسة صداقات أو علاقات أخلاقية وتكون الإجابات دائماً أن المصالح المتبادلة هي ما يحكم سياسة السياسيين

(Nein es gibt gemeinsame Interessen, moralisches Denken ist keine reale Politik)